

وقد يسبغ على نفسه أو يسبغ عليه أنصاره ومريدون شيئاً من القداسة ومخالفة المألوف من طبائع البشر فيستولى على نفوس الكثرة الساحقة من الطبقة الساذجة، وبذلك يتمكن من السيطرة على العقول ودفعتها إلى ما يريد، وهو لا يضر في الواقع سوى مجد شخصه، وعلو مكانته حتى ينكشف أمره بعد أن تدفع الأمة ثمن ضلالاته.

وهذا النوع من الديماغوجية وهو ظهور زعيم تسيير وزراءه الأمة كما يشاء ويهوى، لا يحدث غالباً إلا في الأمم التي لم يتم نضجها، فيسهل بذلك انقيادها، أما الأمم التي وصلت إلى شيء من الرقى فإنها تكشف أمر مثل هذا الزعيم بعد قليل من الزمن، وفي الأمم التي ارتقت ارتقاء كاملاً يصعب أن تظهر فيها هذه الديماغوجية.

* * *

هذا هو تقسيم نظام الحكم كما ارتآه أرسطو، مراعيًا في ذلك حالة الواقع في الأنظمة القديمة، وقد رأى بعض الفلاسفة والحكماء أن الأمم المنحطة ليس لها إلا حكم الفرد الصالح يهديها سبل الرشاد، ويسير بها في سبيل الرقى والقوة، وأن الأمم التي ارتقت نوعاً ولم تستكمل رقيها يجدر بها أن تحكمها طبقة الاستقرائية أي طبقة الرجال الممتازين، أما الأمم الراقية فأحسن نظام لها يجب الأخذ به هو نظام الديمقراطية.

على أن الأمم التي ارتقت ارتقاء كاملاً، أو ارتقاء محدوداً، وشاع فيها الوعي القومي، لا يمكن أن ترضى بغير الديمقراطية، وهي إن لم تعط لها، أخذتها أخذاً.